المصدر: روزاليوسف
التاريخ : ١٩٩٢/٤/١٤

أيام السادات الأخيرة

السادات بين جائزة نوبل وجائزة الأوسكار !

تتوحم المراة الحامل على « ليمونة » .. ويتوحم السجين على رائحة الحرية .. ويتوحم الرقيب على لحم الكلمة المكتوبة .. اما انور السادات فكان يتوحم على الاضواء .. اضواء الشهرة ، والسلطة ، والنجومية .. وكان وحامه يشتد عندما يكون الحمل كاذبا .. اى عندما لا تجد قراراته ، وتصرفاته السياسية صدى فى عناوين الصحف الرئيسية ، واغلفة المجلات الملونة ، ونشرات التليفزيون المسائية .. عندما لا تحدث تصريحاته فرقعة إعلامية .

إن ذلك كان الموت بعينه بالنسبة له .. خاصة في عصر ثورة الاتصالات ، والأقمار الصناعية ، والبث المباشر بالصوت والصورة .. وهو عصر لا يقيس كفاءة الحاكم بمدى شعبيته .. أو بمساحة إعجاب الناس بقراراته . أو بحجم نجاح سياساته .. وإنما يقيسها بحجم الأضواء المسلطة عليه . بمساحات اللمعان والبريق التي يلعب فيها .. بعدد المؤتمرات الصحفية التي عقدها .. بعدد المرات التي ظهرت فيها صورته على أغلفة مجلات شهيرة مثل « التايم » و« الباري ماتش » .. بعدد المرات التي تحدث فيها إلى شبكات التليفزيون القوية في العالم .

وكلما انحسرت الأضواء على الحاكم ، كان عليه استردادها مهما كان الثمن .. وكلما انطفأ اللمعان ، أو غاب البريق ، كان عليه استعادتهما مهما كانت التضحية .. إنها لعبة نجوم السينما الذين يطوعون حياتهم لخدمة الشهرة .. الزواج . الطلاق .. المغامرات العاطفية .. الجراة الفنية .. إنهم مثل الفراشات الملونة يشدهم الضوء إلى الاحتراق ..

إن نظرية الدعاية السياسية ـ في عصر الصورة التليفزيونية ـ أصبحت مثل نظرية الدعاية الفنية .. ومن ثم أصبح على الحاكم أن يتصرف مثل نجوم السينما ، ونجوم الغناء .. يختار ثيابه بعناية .. وكلماته بعناية .. وحركاته بعناية .. يعرف كيف يبتسم في المواقف الحرجة .. ويعرف كيف يسرق الكاميرا .. ويخطف الإعجاب .. ويظل وسط الأضواء .. وربما لهذا السبب نجح ممثل فاشل مثل رونالد ريجان في أن يصبح رئيسا ناجحا للولايات المتحدة مرتين ..

وكان السادات يعرف هذه الحقيقة .. فكان عليه تسخين الأحداث ، وخلق المفاجآت .

وركوب الصعب ، حتى يظل حاكما بدرجة نجم ، حسب مقاييس عصر التليفزيون . بل كان من حقه ان يصل بهذه المقاييس إلى حدها الاقصى . إلى أرقامها القياسية .. كان عليه ان يظل متوتراً حتى يقنع صانعى الاضواء بانه مازال نجماً .. ستاراً .. سوبر ستار .. مثله مثل جين فوندا ، ومارلون براندو ، وهنرى كيسنجر ، ومارجريت تاتشر ، يستحق الانتباه والبريق . . برده الصدمة إلى إسرائيل فى نوفمبر ١٩٧٧ اكبر دليل على ذلك ..

إن حرب اكتوبر ١٩٧٣ ـ كما يقول محمد حسنين هيكل ـ دفعت السادات ، إلى شهرة اكبر مما كان عليه من قبل ، فالعبور الناجح لقناة السويس ، ادهش العالم ، لكن التطورات تلاحقت فيما بعد ، فالقادة الإسرائيليون ـ مثل « شارون » بدأوا ينازعونه شهرة الحرب ، ثم جاء كيسنجر فخطف وحده جوائز السلام .

وبالنسبة لجماهير عاشت حتى رات إنسانا يمشى على القمر ، فلقد كان الاحتفاظ بمرتبة النجم اللامع يحتاج من السادات ما هو اكثر من مجرد معركة ، وهذا ما حققه السادات حينما قام برحلته « التاريخية إلى القدس » .

فى الطائرة التى حملته إلى مطار « بن جوريون » ، حرص السادات على ان يكون معه اشهر وألمع صناع الاضواء . والتركرونكايت ، وبربارة والترز ، وبيترجنس ، وديفيد فروست .. نجوم الاخبار فى شبكات التليفزيون الأمريكية وولتون وين نجم مجلة « تايم » ، وصديق جمال عبد الناصر القديم عندما كان مراسلا لمجلته فى القاهرة .

وفى اقل من ٩٠ دقيقة سال هؤلاء السادات بالتناوب ، ١٥ مرة .

ـ ما هو شعورك الآن ؟

كانهم مع رجل فضاء فى كبسولة مغلقة ، تذهب إلى عوالم مجهولة .. وعليهم ان يقيسوا - فى كل ثانية - نبضه ، وضربات قلبه ، ومشاعره ، وانفعالاته .

وكان السادات يجيب :

ـ كما ترونني امامكم !

كان يضحك ضحكا عصبياً .. ويحرك يديه حركات عصبية .. ويدخن « البايب » بصمت عصبية .. وكان وجهه مزيجا من لون الشمع والحلبة . لم يكن طبيعيا فى تصرفاته ، ولا فى جلسته ، ولا فى نظراته . الممثل الموهوب وجد نفسه فى الفضاء الخارجى .. دخل منطقة انعدام الوزن .. احس بان الدور صعب .. مستحيل .. لكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً .. فقد وقعت الفاس فى الراس وانتهى الأمر .

وباعتراف هيكل ، فإن « السادات عندما اقدم على هذه الرحلة فإنه فى الواقع عبر حاجز الصوت بين ما هو عادى ، وما هو غير عادى . بين ما كان جائزا التفكير وبين ما لم يكن جائزاً التفكير فيه . كانت رحلة القدس هى التى جعلت السادات نهائيا واحداً من ابرز النجوم اللامعة فى عصر النجوم اللامعة .. فعندما خطى السادات على ارض مطار بن جوريون مساء يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ، لم يكن بين شواغل الناس ان يسالوا انفسهم ما إذا كانت هذه الرحلة تستطيع ان تحقق السلام المنشود او لا تستطيع ، كان المهم فى هذه الرحلة هو مجرد حدوثها فى حد ذاته » .

ولكن ..

الرحلة « التاريخية » التى جعلت السادات نجم النجوم .. سرعان ما ثبت انها ايضا نوع من « الحمل الكاذب » . فلا سيناء والجولان والضفة الغربية عادت فى علبة ملفوفة بورق

سلوفان بمجرد ان صلى ركعتين فى المسجد الاقصى .. ولا الجيتو الإسرائيلى فتح له ابوابه وتنازل عن احلامه التوسعية بمجرد ان طرق ابوابه . ولا النبى موسى ، عليه السلام ، ظهر له فى حجرته بفندق الملك داود بعد ان القى خطابا فى الكنيست .. على ان لعبة الاضواء المبهرة للنجوم اللامعة يجب ان تستمر .. انها كالسير على حبل رفيع ، معلق فى الهواء . التوقف فى منتصف المسافة يعنى سقوط اللاعب على الارض ، وتهشم عظامه .

والمثير للدهشة هنا .. ان الذين دفعوا السادات إلى هذه اللعبة الخطرة ، لم يترددوا - وهو على قيد الحياة - فى انتقاده . والسخرية منه .

ففى المحاضرة التى القاها سفير الولايات المتحدة الاسبق هيرمان ايلتس ، يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٩ ، فى جامعة كولومبيا بعنوان : « مصر والسادات والسلام » وصف السادات بأنه « ممثل بارع » .. و« مهرج فى سيرك » ثم اضاف : « وهذا جزء هام من جاذبيته وطريقته فى التفاوض »... وقال : « إن السادات يرى نفسه خبيرا فى الشئون المختلفة .. ولكن من الصعب احيانا ان ياخذه سامعه ماخذ الجد » . واستطرد : «إن السادات لا يظهر التسامح إزاء إبداء مساعديه ووزرائه اية معارضة لافكاره » . كما انه ، اكتشف انه من غير المستطاع تشجيع قيام معارضة مستانسة حسب احلامه .. لذا جاءت انتخابات ١٩٧٩ عقب معاهدة السلام ، انتخابات مزيفة ، تدخلت فيها الحكومة تدخلا كبيراً » .

وفى كتابها المثير « ضفادع وعقارب » .. الذى نشر فور اغتيال السادات - تروى مراسلة التليفزيون الأمريكية فى القاهرة ، دورين كايز تجربة الوهم الذى اسقط فيه الإعلام الامريكى

السادات بعد زيارة القدس .. إن المراسلة الشابة تكشف بجراة وبراعة كيف تحولت كاميرات التليفزيون الأمريكية إلى بنادق ، وضعت فى ظهر ووجه السادات ، ودفعته - باسم دبلوماسية التليفزيون - إلى مواصلة التفاوض - فى لحظات التوتر والقطيعة - مع إسرائيل .. إن التليفزيون الأمريكى كان يصل - بحوار يجريه مع السادات - ما انقطع من مباحثات بين الوفود .. لقد فهموا نقطة ضعف السادات ، فتسللوا منها حتى كانت معاهدة السلام فى كامب ديفيد .

لقد استيقظت دورين كايز من نوم القيلولة فى بيتها بالقاهرة على جرس تليفون متصل الرنين من مدير الشبكة فى نيويورك :

دورين .. مساء الخير .. عليك الآن البحث عن السادات وإقناعه بالتحدث على الهواء .

ـ ولكنه لا يعرفنى ..

ـ إنه يعرف التليفزيون الأمريكى .. ولن يقاوم ..

ـ لكننى لا اعرف مكانه .

ـ ابحثى عنه فى اى مكان .

ـ وإذا رفض التحدث إلينا !

ـ إنك لا تعرفينه .. إنه لن يرفض .

ـ وما الذى عليه ان يقول بالضبط ؟

ـ ادفعيه إلى التحدث عن حبه للسلام ، ورغبته فى مواصلة التفاوض مع الإسرائيليين .

وقامت دورين كايز على عجل .. ووضعت نفسها فى بنطلون « جينز » و« تى شيرت » من القطن الملون المطبوع ، واخذت المصور والكاميرا ، وراحت تبحث عن السادات حتى عثرت عليه فى فيللا فى « الهرم » يملكها احد اصدقائه الاثرياء الذى كان يحتفل بزفاف احد ابنائه .. على البوابة حاول الحرس منعها من

الدخول لانها لا تحمل بطاقة دعوة .. فقالت لقائد الحرس بثقة لا تخلو من الغرور .. وربما الغطرسة .

— اذهب إلى الرئيس السادات وقل له : دورين كايز مراسلة شبكة « إيه . بى . سى » الامريكية تريدك الآن فى امر عاجل لا يحتمل التاجيل .

قال قائد الحرس :

— لا اتصور انه سيقبل .. إنها مناسبة خاصة ياسيدتى .

— اذهب إليه بالرسالة .. وسانتظر الجواب .

ولم يغب الضابط اكثر من خمس دقائق ، عاد بعدها ليدعو المراسلة الشابة للدخول . وقد سيطرت على وجه اسراب من طيور الدهشة .. وحسب وصفها كان رجال الدولة - ومعهم السادات - يتابعون « هز وسط الراقصة الشهيرة نجوى فؤاد » .. إنها الراقصة نفسها التى رقصت لهنرى كيسنجر اثناء مفاوضات فك الاشتباك فى سنة ١٩٧٤ .. ويبدو انها اثارته .. فانفعل بها للغاية .. ودعاها إلى بيته فى واشنطن .. وقيل إنه فى لحظة « ما » عرض عليها الزواج ..

كان السادات يتامل نجوى فؤاد وهى تتلوى وتبتسم معا .. كان يبدو مستمتعا بما يراه .. فملامحه مسترخية .. والبايب لا يفارق شفتيه . ورأسه لا يكف عن الاهتزاز الخفيف .. واصابعه تنقر على مسند المقعد .. إن نجوى فؤاد اصبحت الراقصة « الرسمية » .. او الراقصة المفضلة فى الحفلات التى يحضرها السادات بعد ان سقطت فيفى عبده من فوق عرش الاهتمام .. فقد اخطات عندما قالت فى برنامج « النادى الدولى » التليفزيونى : إن قرية « ميت ابو الكوم » لا تنجب إلا العباقرة .. فقد انجبتها هى والرئيس السادات !! وغضبت جيهان

السادات .. وامرت بإلغاء البرنامج الذى كان يقدمه سمير صبرى .

احس السادات بمتعة اكبر من متابعة نجوى فؤاد عندما وجد كاميرا التليفزيون الامريكى تقترب منه .. إنها متعة النجم وهو يؤدى . والتى تفوق متعته وهو يتابع اداء احد زملائه .. وحسب ما نشرته دورين كايز فإن السادات اشعرها بالدفء والمودة إلى حد انها وجدت نفسها تعامله كصديق او زميل قديم .. ولم تتردد فى ان تمسح باصابعها على ساقه فى حنان .

وكانت قد سالته :

ـ هل تمانع سيدى الرئيس ان تبعث برسالة على الهواء مباشرة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين ؟

ـ كلا ؟

ـ ما الذى تقوله له ؟

ـ اقول له إننا نصر على السلام !

ـ وإذا كان هو ايضا يصر على السلام ؟

ـ يكون على بركة الله نستانف المفاوضات !

كانت المفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية تعانى من الجمود والبرودة .. وكانت الصحف المصرية تسب وتلعن مناحم بيجين ، وتصفه بالجزار ، والسفاح ، والإرهابى ، وفتحت ملفاته القديمة .. ونشرت من جديد ما فعله فى قرية « دير ياسين » .. وكان ذلك بامر من السادات .. وهو ما ازعج الولايات المتحدة .. فسعت إلى إحداث اى اتصال بين بيجين والسادات حتى تعود مياه المفاوضات إلى مجاريها .. وهكذا .. لم تجد الدولة العظمى الراعية للمفاوضات سوى سحر التليفزيون لإقناع السادات ـ بسرعة ـ بهذا الاتصال .

ولم تصدق دورين كايز ان مهمتها يمكن ان

تنجح على هذا النحو الخاطف ، وغير المتوقع .. ولكن .. رئيسها فى نيويورك قال لها :

- لا تتعجبى .. إنه السادات ياعزيزتى دورين .. لا يستطيع ان يتمالك نفسه امام إغراء الاضواء .

وفى اليوم التالى كانت شبكة التليفزيون التى تستخدم دورين كاميز فى مكتب الرئيس السادات ، وقد نصبت الكاميرات امامه .. وركزت العدسات على مقعده وتليفوناته .. فالسيناريو المعد كان يقضى بان يرفع السادات سماعة التليفون ، ويطلب بيجين فى إسرائيل ، وفى مكتب بيجين كان هناك فريق اخر من الشبكة يسجل بالصوت والصورة الجانب الآخر من المكالمة .. وهذا ما حدث بالفعل ، وراح السادات يتكلم بصوت مرتفع ، وكان بيجين فى الحجرة المجاورة .. او كان السادات يتحدث معه بدون تليفون .. إنها مسرحية دبرها الإعلام الامريكى حتى يساق السادات إلى المفاوضات تحت تهديد الكاميرات . او تحت إغرائها .

وهذا الإغراء هو الذى جعل جولدا مائير تقول - بعد ان حصل السادات على جائزة «نوبل» للسلام مناصفة مع بيجين - إنه لا يستحق جائزة «نوبل» وإنما يستحق جائزة «الاوسكار» .

وجائزة «الاوسكار» جائزة سينمائية .. تمنح للنجوم لا للحكام .. ولكن .. السادات كان نجما .. يعرف كيف يسرق الاضواء .. ويعرف كيف يتعامل مع الكاميرات .. ويعرف كيف يتقمص الادوار .. وهو نفسه اعترف بذلك اكثر من مرة وقال : « منذ فجر شبابى وانا احس بميل شديد للفن والفنانين . وخاصة التمثيل . ولى فى هذا المجال قصص كثيرة » .. ومن قصصه المعروفة انه وهو طالب فى مدرسة «رقى المعارف» الثانوية ، ارسل إلى شركة إنتاج سينمائية .

تطلب وجوها جديدة ، صورة له ، وهو يضع الطربوش على راسه ، ومع الصورة رسالة ، وفى الرسالة قدم نفسه قائلاً : «انور السادات افندى ، كوبرى القبة ، شارع «ابى وصيف» رقم «٤».. انا شاب متقدم للبكالوريا هذا العام ، طويل .. وسطى رفيع جداً .. وصدرى مناسب .. وسيقانى قوية مناسبة .. لونى ليس كما فى صورتى لانى اغمق من الصورة قليلاً .. وانا متحكم فى صوتى بمعنى الكلمة .. فتارة تجدنى اقلد صوت يوسف وهبى ، وتارة تجدنى اقلد صوت ام كلثوم ، وهذه خاصية اظنها نادرة » .

وفى ديسمبر ١٩٧٥ ، قالت جيهان السادات فى حديث إلى روز اليوسف :

« الرئيس يحب الافلام الاجنبية وافلام الكلوبوى (رعاة البقر) بوجه خاص ، ودائما يطلبها ، واجلس انا معه إلى ان يندمج فى الفيلم ثم انسحب بهدوء لاذاكر دروسى » .

س : وهل يحب الرئيس الموسيقى ؟

جـ : جداً .. وعندما يكون مزاجه مستريحا فإنه يدندن على خفيف .. ويغنى ايضاً فى الحمام ، اى نغم حلو .. وغالباً من الحان عبد الوهاب .

وفى ليلة ثورة «يوليو» .. تعمد السادات ان يدخل سينما «روضة المنيل» .. وتعمد ان يشاهد الافلام الثلاثة التى تعرضها .. وتعمد المشاجرة والذهاب إلى قسم الشرطة ، وتحرير محضر ، ليثبت - إذا ما فشلت الثورة - انه كان فى السينما ، وسواء كان ذلك التصرف بريئاً أو هروبا ، فإنه تحول إلى نكتة .. فعندما كان احد يسأل : « هو السادات فين ؟ » .. كان زملاؤه فى مجلس الثورة يقولون «فى السينما» !

وفيما بعد .. عندما قابل السادات الرئيس

الامريكى رونالد ريجان - وهو ممثل اصلا - أراد السادات ان يجامله . فقال له إنه فى ليلة الثورة كان يشاهد السينما . وان احد الافلام الثلاثة كان من تمثيله .. فرد الرئيس الامريكى عليه قائلاً : «لقد ساهمت إذن فى ثورتكم وكان لى دور فى نجاحها» .

وفى اول حديث للسادات بعد أن اصبح رئيساً للجمهورية . تحدث عن واقعة دخوله السينما . ليلة الثورة . فعلق الصحفى الامريكى «شولز بيرجر» - الذى اجرى الحديث معه لحساب «نيويورك تايمز» - قائلاً : إن هذه الواقعة تعد نموذجاً لاسلوب السادات السياسى وهو اسلوب من النوع «خفيف الوزن» .

ومع انه لم يصبح ممثلاً .. فإن السادات لم يتنازل عن موهبة التمثيل حتى عندما احترف السياسة .. وتقول دورين كايز إن موهبة السادات فى التمثيل كانت موهبة فطرية . وكانت تقوده إلى نوع من الاداء الماساوى - الكوميدى .. وكان السادات فى رايها يحافظ على بعض حركاته «كممثل» فكان مثلاً «يرمش بعينيه الاثنتين بتلك الحركة الغريبة التى اصبحت ماركة مسجلة لصورته كلما ظهر على شاشة التليفزيون الامريكى» .

وتعترف دورين كايز بانها احست بالغيرة منه لبراعته فى «خطف الاضواء» .. ولكن إحساسها به كممثل جعلها تتعامل معه «كنجم - زميل» لا كرئيس دولة .. فكان ان «مددت يدى فربت على ركبته بحركة لا شعورية» .. على حد قولها بالنص .

وكان السادات يدير دعايته بنفسه .. فهو الذى يتصل بنجوم شبكات التليفزيون .. وهو الذى يحدد مواعيد الحوار مع رجال الصحافة .. وهو الذى يقترح على مصورى الصحف اماكن التصوير .. قريته .. وادى

الراحة .. الاهرام .. وكان يختار الثياب المناسبة لكل مناسبة .. ولكل موقع تصوير .. او «لوكيشن» بلغة السينما .. فالجلباب او الشورت فى القرية ، وسط الحقول والمزارع .. والملابس الصيفية امام الاهرام ، وبين يديه عصا فرعون .. والزى العسكرى الالمانى فى العرض العسكرى السنوى ، ومعه عصا المارشالية كاكسسوار .

وفى يوم واحد .. ضرب السادات رقما قياسيا فى التصوير ، والحوارات ، وقابل اكثر من ٤٥٠ صحفيا ، منهم ١٥ مراسلا ، كل منهم التقى به على انفراد .. كان من بينهم رسام كاريكاتير ، شهير ، هو «لورى» المعروف بانحيازه إلى إسرائيل ، وكان ذلك فى شتاء ١٩٧٧ .

ويبدو ان استسلام السادات إلى صانعى الاضواء والنجوم فى العالم ، جعله لا يعرف الفرق فى الذوق الإعلامى ، بين المواطن المصرى ، والمواطن الغربى .. إن المواطن الانجليزى يتابع بشغف فضائح الاسرة المالكة .. والمواطن الامريكى يفضل صور رئيس بلاده بالشورت وهو يلعب الجولف .. والمواطن الفرنسى لا يجد غرابة فى ان يرى زوجة الرئيس وهى تراقص شاباً غريبا ، او تشرب فى صحته .. ولكن .. المواطن المصرى يقشعر بدنه من ذلك .. والمواطن العربى ايضاً .. إن الحياة الخاصة للحكام لا تزال محاطة بالسرية ، وفضحها يهز صورتهم امام الراى العام .. خاصة إذا كان هذا الراى العام يعانى من متاعب فى الحياة ، ويحصل على لقمة العيش بصعوبة .. وينام فى المقابر .. ويسعى خارج بلاده للعمل بحثا عن حياة افضل .. إن نشر صور الحكام فى هذه الحالة تجعل المقارنة فى غير صالح الحكام .. وتجعل الناس يشعرون انهم فى واد بعيد

عنهم .. لا يشعرون بمتاعبهم .. ولا يلمسون اوجاعهم .

وهذا ما جرى للسادات فى يوم ٢٣ فبراير ١٩٨٠ .. ففى صباح ذلك اليوم فوجىء المصريون باخبار اليوم تنشر مجموعة من الصور الشخصية للسادات .. صورة له وهو يحلق ذقنه .. صورة وهو راقد على الارض مادا ساقيه ، فاردا ذراعيه .. صورة وهو يشاهد فيلما لاسمهان .. صورة وهو يدخن فى الهواء الطلق .. وهذه الصور هى مجرد عينة من ١٠ الاف صورة التقطها له المصور فاروق إبراهيم ، الذى قرر ان يطبعها فى كتاب يصدر باكثر من ١٠ لغات ، وتنشره مؤسسة ماكجرو ـ هيل الامريكية ، ويكتب مقدمته د . هنرى كيسنجر ويكتب عناوين فصوله رئيس وزراء بريطانيا الاسبق ادوارد هيث.. على حد ما نشرت «اخبار اليوم» فى ذلك الصباح .. وهو ما لم يتحقق فيما بعد .

وقد وافق السادات على التقاط هذه الصور فى حجرة النوم .. والحمام .. والحدائق .. والاستراحات .. وصالة الرياضة .. وقال للمصور . «لقد طلبت ـ يابنى ـ ان تسجل حياتى بالصور . ويجب ان تكون هذه الصور صادقة ، وبلا ترتيب ، وبلا حساسية العدسة فى يدك فاستخدمها كما ترى وكما تريد . لا تنتظر موافقتى على كل صورة . ولا تتحرج من التقاط وتسجيل اى موقف تراه معبرا عن تصرفاتى ، وتحركاتى اليومية . اريد ان تكون صادقا مع عدستك حتى تاتى صورك صادقة عنى» .

الرئيس ـ النجم وصل إلى مرحلة الاحتراف .. لم يعد يخشى الكاميرا .. لم يعد يخاف المفاجاة .. لم يعد يحسب حساب ذوق الجمهور المحلى.. فالعالم اصبح مسرحه وجمهوره .

ولكن . الصور احدثت اثراً عكسياً .. وراح الراى العام يسخر منها ومن صاحبها .. وانتقلت السخرية إلى اجهزة الإعلام العربية التى كانت تحاربه منذ قطيعة كامب ديفيد ، فتحولت السخرية إلى تشهير وتطاول .. وراح الجميع يتندرون على الرجل الأول فى مصر .. وقدم المكتب الصحفى برئاسة الجمهورية تقريراً عن ذلك كله .. وغضبت جيهان السادات ، وصرخت فى وجه إبراهيم سعدة نائب رئيس تحرير «اخبار اليوم» المسئول عن نشر الصور

ـ كيف يمكن تقديم الرئيس بهذا الشكل وهو نائم على الارض ؟

وكانت المفاجاة التى فجرها إبراهيم سعدة

ـ إن ذلك تم بموافقة الرئيس السادات نفسه

وكان مصطفى امين ـ كما ذكر محمد رجب فى كتابه «ما لم تنشره الصحف» ـ قد نصح إبراهيم سعدة ـ قبل النشر ـ بالاتصال بالرئيس السادات واستئذانه فى النشر .. « فهذه الصور خاصة بحياته الشخصية ومن الطبيعى أن تحصل على موافقته اولا .. واستجاب إبراهيم سعدة للنصيحة ، واتصل بالسادات وساله

ـ هل لديك مانع ياسيادة الرئيس ؟

ـ لا مانع إطلاقا .

ـ هل هناك لقطات معينة لا توافق على نشرها ؟

ـ ايه السؤال ده ياإبراهيم ؟ لقد سمحت للمصور بتصويرى فى كل مكان .. وانا اعلم مقدما انها معدة للنشر فى كل انحاء العالم .

وانتهت الأزمة فى «اخبار اليوم» .. لكنها لم تنته فى ضمير الشارع المصرى الذى احس بان السادات فى واد .. وهو فى واد أخر .

وقد فقدت هذه الصور الكثير من اهميتها امام صور اخرى التقطها المصور الصحفى مكرم جاد الكريم ، لعملية اغتيال السادات ، إن صور

الاغتيال كانت تمثل ذروة الدراما .. كانت منتهى الإثارة .. وفى عالم النجوم تكسب المشاهد المثيرة .. وتتوارى المشاهد الإنسانية البسيطة

لقد عاش السادات وهو يهوى التصوير ولم تكن صدفة ان يموت امام الكاميرات .. وقد سجلت كاميرات تليفزيونية لحظات اغتياله بالصوت والصورة .. واصبح هذا الفيلم فيلم الموسم .. وتداوله الناس بجنون .. وبيعت نسخه فى السوق السوداء .. وكسبت نوادى الفيديو من وراء تاجيره الكثير .

إن السادات - على حد قول هيكل - كان «واحدا من قادة العالم الثالث الذين فهموا إمكانية ثورة الاتصالات . وفى بلد مثل مصر فإن التليفزيون غير انماط الحياة بالنسبة للناس العاديين وبطريقة لا يمكن التقليل من اهميتها» .. و«كانت مشكلة السادات انه وهو ابن عصر التليفزيون لم يستطع مقاومة إغراء الإفراط فى استغلاله . لقد كان اول فرعون فى تاريخ مصر جاء إلى شعبه مسلحا بكاميرا . وكان ايضاً اول فرعون فى تاريخ مصر يقتله شعبه» امام الكاميرا ■

عادل حمودة